اسم الدرس : خطبة ميقات المشتاقين

تصنيف الدرس : منوعات | موسم الحج

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}[ال عمران:102]

أما بعد، أحبتي في الله، من رحمة الله عز وجل بهذه الأمة أن قَدَّر لها أزمانًا فيها الخير والبركات، وقدّر لنا نفحات تجعل الإنسان يزداد في الطاعات، ويزداد في الثواب حتى يُعَوِّضَ نقص العُمر في هذه الأمة؛ فلقد كانت أعمار الأمم من قبلنا طويلة، وأعمار أمة النبي صلى الله عليه وسلم ما بين الستين والسبعين.

ولذلك فإن هذه الأمة التي هي نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، وهذه الأمة التي كرمها الله عز وجل بأن لها شطر أهل الجنة، أو أزيد من ذلك، تحتاج إلى المسارعة والمسابقة في الخيرات؛ فقَدَّر الله عز وجل لها أزمنةً يُضاعف فيها الثواب.

فقدر الله عز وجل لهذه الأمة ليلةً هي خيرٌ من ألف شهر **"ليلة القدر"**، وقدر أيضًا هذه الأيام التي مَنّ الله عز وجل علينا بها، وأكرمنا بأن أبقى في أعمارنا إلى أن أدركناها؛ وهي أيام العشر؛ **العشر الأول من ذي الحجة**.

هذه الأيام، هذا الميقات؛ **ميقات العشر** الذي ينتظره الإنسان كما انتظره موسى عليه السلام، هذا الميقات الذي يتلهف إليه المؤمن، ويزداد شوقه إليه، وينتظره طوال العام حتى يتفرغ قلبًيا لذكر الله عز وجل، ومناجاته، ودعائه حتى يمن الله عز وجل عليه بالخير والبركات.

ميقات العشر هي نفس الأيام التي عاشها موسى عليه السلام كما قال بذلك جَمْع من المفسرين؛ حيث قال الله عز وجل: **{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}[الأعراف:142]** وقال جَمْع من المفسرين: "ثلاثين ليلة" هي شهر ذي القعدة، و**{وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ}** كان التمام والفضل والمنة والكرم في العشر الأُول من ذي الحجة.

هذا الموسم يشهد دائمًا أعمال الخيرات، والفتح وللبركات:

- –كانت فيه المناجاة؛ مناجاة موسى عليه السلام لله سبحانه وتعالى.
- وكانت فيه النجاة؛ حيث كانت فيه نجاة إسماعيل عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم.
- –وفي هذا الموسم كان حج إبراهيم عليه السلام.
- –وفيه أيضًا كان قول الله عز وجل: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا}[المائدة:3]**

فهذا الموسم فيه التمام دائمًا: **{وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}[الأعراف:142]**.

تعالوا لنقف وقفات مع هذه الآيات:

هذه الآيات في سورة الأعراف تخبرنا عن شوق موسى عليه السلام، وهو يذهب إلى ميقات ربه، هذا الميقات من الزمان الذي نحن فيه الآن **"ميقات العشر"**؛ فهل أتينا إلى هذا الميقات بقلب موسى عليه السلام الذي جاء مُتلهفًا لمناجاة الله سبحانه وتعالى؟

قال الله سبحانه وتعالى في أول هذه الآيات: **{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ}[الأعراف:138]** فبعد جُهْدٍ مُتعبٍ بَذَلَه موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، بعد أن منّ الله عز وجل عليهم بالنجاة من ذلك الطاغية "فرعون": **{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ}**، ماذا فعل بنو إسرائيل؟

هل نظروا إلى المنعِم سبحانه وتعالى، أم انشغلوا بالنعمة عن المنعم؟

هل شكروا ربَّهم سبحانه وتعالى على هذه النعمة؟

ولكنك تُفاجأ بقول الله عز وجل: **{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}[الأعراف:138]** "نريد مثلهم يا موسى" هكذا دائمًا هي الأمم التي عاشت على الذُل والاستعباد تعشق التبعية، وتُفضّل الذل، وتريد أن تُقلد دائمًا مهما كان هذا التقليد؛ كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه) [1] أي: لو دخلوا جحر ضب، سنقول "نريد مثلهم"؛ نريد جحر ضب مثلهم.

[1] - لتتَّبعنَّ سَنَنَ من كانَ قبلَكم حذو القُذَّةِ بالقُذَّةِ حتَّى لو دخلوا جحرَ ضبٍّ لدخلتُموه. قالوا: اليَهودُ والنَّصارى؟ قالَ: فَمَن.
الراوي : [أبو سعيد الخدري] /المحدث : ابن تيمية/المصدر : مجموع الفتاوى/الصفحة أو الرقم: 106/10 /خلاصة حكم المحدث : صحيح

{قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنا إِلَٰهًا كما لَهُمْ آلِهَةٌ }[الأعراف:138]

يا بني إسرائيل ماذا فعل هذا الإله لهؤلاء القوم؟

هل نجاهم من فرعون؟! هل شق لهم البحر؟!

هل أنزل لهم المَنّ والسلوى؟!

هل شق لهم الحجر وأخرج لهم الماء؟!

ماذا فعل هذا الإله الذي يَعكُف هؤلاء القوم عليه؛ حتى تطلبوا إلهًا مثله وتركوا إلهكم ؟!

{قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ

دائمًا سيسقط الباطل مهما علا {وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا}[الأعراف:138-140] أتريدون إلهًا غير ربنا الذي أنعم عليكم بكل هذه النعم؟!

{قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ}[الأعراف:140,141]

ذكّرهم موسى عليه السلام بنعمة نجاة الأبدان، ثم مَنّ الله عز وجل عليهم بنعمة حياة القلوب والأديان.

{وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً}[الأعراف:142] كلّف الله عز وجل موسى بمهمة يؤدّيها هي: أن يذهب إلى فرعون، ويطلب منه أن يُرسل معه بني إسرائيل.

كلّف الله عز وجل موسى بهذه المهمة، والتزم موسى عليه السلام، وأدى الأداء، وقام بالمهمة على حق التمام، ثم بعد ذلك كانت الجائزة؛ حيث قال الله عز وجل لموسى ووعده بأنه إن أتم هذه المهمة فسيكون الجزاء هو اللقاء لكلام الله عز وجل.

ولقد كلمه الله عز وجل في أول المهمة؛ في أول لحظةٍ من اللحظات حينما نادى الله عز وجل موسى، وقال: {يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[القصص:30] فكلمه الله عز وجل في أول المهمة على غير انتظار ولا توقُّع، ثم أخبره بأنه إن أتم هذه المهمة سيكلمه هذه المرة على انتظار وتوقع.

لطالما طالت هذه اللحظات التي ينتظرها موسى عليه السلام، وهو يتمنى أن يُنْهِيَ هذه المهمة ليذهب إلى لقاء الله سبحانه وتعالى، ويستمع إلى كلامه سبحانه وتعالى.

جاء موسى عليه السلام يَحْمِلُه الشوق واللهفة، وهو يريد أن يسمع كلام الله، لم يكن موسى عليه السلام منشغلًا بفرعون، ولا بأي شيء آخر، كان مُنشغلًا بالوقت الذي ينتظره، وَيَمّن الله عز وجل عليه ويستمع فيه إلى كلام الله عز وجل،

فما بالنا لا نشتاق إلى سماع القرآن؟! ما بالنا لا نشتاق إلى قيام الليل؟!

قال الله عز وجل: **{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيلَةً}[الأعراف:142]** ظل ينتظر هذا الموعد،وكذلك المحبون دائما ينتظرون لقاء حبيبهم، **{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ}** قال جمهوٌر من المفسرين: ظل موسى عليه السلام صائمًا شهر ذي القعدة كاملًا، ثم بعد ذلك انتظر موعد اللقاء بكل لهفةٍ وشوق، فوجد أن ريح الصوم يخرج من فمه؛ حيث تَغيَّر ريح فمه، فقام واستعمل السواك واستاك، وغير ريح فمه، فقالت له الملائكة: "أَوما تعلم أن خُلوف فم الصائم أفضل عند الله عز وجل من ريح المسك؟!" [2]

هكذا أحبتي في الله؛

المقاييس الغيبية تختلف عن المقاييس الأرضية؛ فدم الشهيد أفضل عند الله من المسك، وخلوف فم الصائم أفضل عند الله من المسك، هكذا هي المقاييس، فالمؤمنون لهم مقاييس مختلفة تمامًا.

وفيما يُرْوى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أبي هريرة -مَوْقوفًا-: (الشتاء ربيع المؤمن) [3] فالناس عندما يختارون فصلًا من الفصول كي يتنعموا فيه قد يختارون الربيع، أو قد يختارون الخريف، أو الصيف، ولكن فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الشتاء ربيع المؤمن).

---

[2] قالَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: قالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له، إلَّا الصِّيَامَ؛ فإنَّه لي، وأَنَا أَجْزِي به، والصِّيَامُ جُنَّةٌ، وإذَا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ ولَا يَصْخَبْ، فإنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ.
الراوي : أبو هريرة /المحدث : البخاري /المصدر : صحيح البخاري/الصفحة أو الرقم: 1904 /خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

[3] الشِّتاءُ ربيعُ المُؤمنِ؛ قَصُرَ نَهارُه فصام، وطال ليلُه فقام./الدرجة: لا يصح مرفوعا، ويورى عن ابن مسعود وغيره

فالمؤمن حينما يختار زمنًا ما؛ فإنه يختار الزمن الذي يناسب العبادة؛ فقال صلى الله عليه وسلم: (قصر نهاره فصام وطال ليله فقام) [4]فهو يختار الأنسب لطاعة الله عز وجل، ولذلك فإن مقاييس المؤمنين تختلف عن مقاييس البشر.

{وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ}[الأعراف:142] فأتم موسى عليه السلام صوم العشر حتى عاد خُلوف فم الصائم إلى فمه –عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم–.

وقبل أن ينطلق موسى إلى هذا اللقاء الذي لطالما انتظره، قال لهارون أخيه: **{اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي}[الأعراف:142]**، هكذا هم المصلحون دائمًا يخافون على أقوامهم من التغيير والفساد، فهم يعلمون أن الأقوام بحاجةٍ إلى من يرعاهم، ويعلمون أن الأقوام يحتاجون إلى من يَسُوس دنياهم و يعلمهم دينهم.

فالناس دائمًا يحتاجون إلى من يعلمهم الدين، ويربيهم على الدين.

{وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}[الأعراف:142]

وكأن موسى عليه السلام من كثرة ما رأى من مُراوغات بني إسرائيل في التيه، يعلم أن من بين بني إسرائيل مُفسدين يريدون أن يفسدوا في الأرض؛ فقال موسى لأخيه هارون: أصلح واستعمل الإصلاح دائمًا، ولا تجعل الفساد يظهر قدر المستطاع، أما إذا ظهر الفساد، ولم يعد لك طاقة على الإصلاح، فلا تتبع سبيل المفسدين.

إذًا؛ الإنسان قد يمر في مرحلة يعطيه الله عز وجل فيها القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعطيه القدرة على منع الظالمين وقهرهم؛ وهذا هو الإصلاح التام، **وإن لم يستطع الإنسان الإصلاح، فلا عذر له إن أتبَع سبيل المفسدين!**

إذًا؛ يجب على الإنسان أن يُصلح قدر المستطاع، وإذا عجز وسقطت القدرة عنه، فلا عذر له في أن يسلك سبيل المفسدين، ويجلس معهم ويَتسَامر معهم؛ فهذا ليس عُذرًا أبدًا.

عدم القدرة على مواجهة الباطل، لا يعني أبدًا الارتماء في أحضان أهل الباطل.

[4] الحديث السابق

{وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}[الأعراف:142] ولم يقل له: لا تجلس معهم، وإنما لا تَسِرْ على طريقٍ ساروا عليه أبدًا حتى إن كان في ظاهر هذا الطريق الإصلاح، {وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } أي: ابتعد عنهم تمامًا، لا تُجالسهم، مُرْ بالمعروف وانه عن المنكر، ووضِّح الحق وبَيِّنه، ثم لا عليك بعد ذلك {وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}.

ثم قال الله عز وجل عن هذه اللحظة التي قد تقتل قلب المؤمن المشتاق إلى الله عز وجل: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا}[الأعراف:143] يا الله.. أخيرًا! جاءت اللحظات التي لطالما انتظرها موسى، هذه اللحظات التي كانت جزاء على التمام {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ}[الأنعام:154].

لطالما أحسن موسى عليه السلام في طاعة ربه؛ ذهب إلى فرعون، وقال الحق، ولم يخش في الله لومة لائم؛ فناجاه الله عز وجل وكلمه.

وأخيرًا جاءت اللحظات.. يا لفرحةِ موسى على بذله!، يا لفرحة موسى عليه السلام على التمام!، ويا لفرحة المؤمنين حينما يبذلون أعمارهم وأوقاتهم لنصرة دين الله، ثم يأتون يوم القيامة، ويُبشّرون برؤية الملك سبحانه وتعالى!

حينها يسعد المؤمن بكل لحظةٍ بذلها في حياته لنصرة دين الله، ويُنادى عليه من بين الخلائق: "هلمّ لرؤية وجه الله سبحانه وتعالى"، هذه اللحظة التي ينتظرها المشتاقون دائمًا.

قال الله عز وجل في سورة العنكبوت -التي نزلت في أواخر العهد المكي بعد طول استضعافٍ، وطول بذلٍ، وطول تعذيبٍ-:{مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ}[العنكبوت:5]؛ فالذي يتمنى رؤية وجه الله ويشتاق إلى رؤية وجهه، وأنساه الشوقُ كل العذاب وما لاقاه في سبيل الله: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ}.

فالله عز وجل يُطَمئن القلوب المشتاقة إليه؛ بأنه سيأتي يوم ينظرون فيه إليه: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[العنكبوت:5]؛ هو السميع لأقوالهم، العليم بأشواقهم.
هكذا يُصَبّر المؤمن نفسه؛ بأنه سيأتي يوم يزول فيه التعب، سيأتي يوم لا نَصبٌ فيه ولا تعب، سيأتي يوم يُكشَف فيه الحجاب، وينظر المؤمنون إلى وجه الله.

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا}[الأعراف:143]؛ في هذه اللحظات جاء الشوق بموسى عليه السلام، {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَاوَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}

يا الله.. أخيرًا! جاءت اللحظةُ التي لطالما انتظرها موسى، لقد سمع هذا الكلام من الله عز وجل في أول البعثة، وها هو الآن بعد التعب، وبعد أداء المهمة يُمَنّ الله عز وجل عليه بسماع الكلام {وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}.

ولما سمع كلام الله؛ اشتاق إلى رؤية وجه الله، وهكذا هم المؤمنون حينما يسمعون القرآن؛ لا يتمالكون أنفسهم إلا أن يدعوا: **"يا رب لا تحرمنا لذة النظر إلى وجهك الكريم"**، إن هذا الإله الذي تكلم بهذا الكلام؛ يعجز المؤمن إلا أن يَطلب: "يا الله لا تحرمني لذة النظر إلى وجهك الكريم".

{وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}[الأعراف:143]؛ وكما رَوى الطبريّ في تفسيره: قال موسى عليه السلام -لما سمع كلام الله-: "أي ربّ أرني أنظر إليك" فلما سمع كلام الله؛ اشتد شوقه لرؤية وجه الله؛ فقال الله عز وجل لموسى: "يا موسى، أما علمت أن من رآني مات؟"، فقال:"أي ربّ"، فاسمع كلمات المشتاقين إلى رؤية وجه الله؛ قال:"أي ربّ، لَأَنْ أراك فأموت أحب إلي من أن أعيش ولا أراك"! كيف أصبر على حياةٍ لا أراك فيها؟! كيف أصبر على حياةٍ بعد أن استمعتُ إلى كلامك؟!

هكذا يعيش المشتاقون؛ ينتظرون لحظة رؤية وجه الله عز وجل؛ **فالمؤمن حينما يأتيه الموت، يفرح بلقاء الله عز وجل، يُبشَّر بجناتٍ من الله عز وجل؛ فيفرح بلقاء الله**، ويقول -وهو سعيد- في لحظات الموت: "غدًا نلقى الأحبة"؛ ففي لحظات الموت هذه يفرح المؤمن.

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ}، لم يملك موسى نفسه من الشوق؛ فقال: {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ}[الأعراف:143] "يا رب، أنا أتمنى أن أراك"، "يا رب، بعد ما سمعت كلامك ازداد شوقي إليك" {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ}.

ثم جاءت هذه الكلمات التي نزلت على قلب موسى كالصاعقة: {قَالَ لَن تَرَانِي}[الأعراف:143]؛ أي: في الدنيا، ولكن اصبر حتى يأتي أجل الله، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)[5]؛ فيا لفرحة المؤمن بالموت! (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا).

[5] - إنَّه أعورُ ، وربُّكم ليسَ بأعْوَرَ ، واعلموا أنَّكم لن ترَوا ربَّكم حتَّى تموتوا

فنزلت هذه الكلمات على قلب المشتاق: {قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِن}؛ ماذا؟! هل تجدد الأمل مرَّة أخرى؟ {وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ}[الأعراف:143] لا تتفكر في الذات، ولكن تفكر في المخلوقات، لما قال: "أرني أنظر إليك"؛ أي: إلى ذاتك المقدسة؛ قال الله: {انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ}.

هكذا أحبتي في الله؛

في هذه الأيام نتدبر في مخلوقات الله عز وجل: كيف أن الله عز وجل خلق السموات بغير عمد، ومد الأرض، وجعل فيها من كلٍ زوجين اثنين، يُغشي الليل النهار، وجعل الله عز وجل النباتات والحيوانات والدواب بأنواعها والثُمُوس والأقمار والأكوان...

من الذي خلق كل هذا؟، من الذي يدبر الأمر؟، من الذي يعطي كل مخلوق رزقه؟ {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا}[هود:6]، إن التأمل في مخلوقات الله عز وجل يزيد الإنسان شوقًا إلى رؤية وجه الله سبحانه وتعالى.

تأمل حينما تنظر إلى أي مخلوقٍ جميل، أو أي مشهدٍ جميل، كيف تجد نفسك تلقائيًا تقول: "سبحان الله!"؛ أي: أن الذي خلق هذا الجمال، يا تُرى ما هو جماله؟!،وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله جميل)، افرحوا أحبتي في الله بتمني رؤية وجه الله (إن الله جميلٌ، يحب الجمال) [6] فما بالكم أحبتي في الله لو كشفَ الله عز وجل عن حجابه؟!

إن الله عز وجل -كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم- (حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه سبحانه وتعالى ما امتد إليه بصرُه من خلقه) سبحانه وتعالى [7].

= الراوي : أبو أمامة الباهلي /المحدث : ابن حجر العسقلاني / المصدر : الغنية في مسألة الرؤية/الصفحة أو الرقم: 24/1 /خلاصة حكم المحدث : إسناده صالح للاحتجاج

[6] - لا يدخلُ الجنةَ مَنْ كان في قلبِهِ مِثقالُ ذرَّةٍ من كِبرٍ ، قِيلَ : إنَّ الرجُلَ يُحبُّ أنْ يكونَ ثوبُهُ حسنًا ، ونعلُهُ حسنةً ، قال : إنَّ اللهَ جميلٌ يُحبُّ الجمالَ ، الكِبرُ بطَرُ الحقِّ ، و غمْطُ الناسِ
الراوي : عبدالله بن مسعود وعبدالله بن سلام / المحدث : الألباني /المصدر : صحيح الجامع/الصفحة أو الرقم: 7674 /خلاصة حكم المحدث : صحيح

[7] قامَ فِينا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ بخَمْسِ كَلِماتٍ، فقالَ: إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهارِ، وعَمَلُ النَّهارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجابُهُ النُّورُ، وفي رِوايَةِ أبِي بَكْرٍ: النَّارُ، لو كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ.
الراوي : أبو موسى الأشعري /المحدث : مسلم/المصدر : صحيح مسلم/الصفحة أو الرقم: 179/خلاصة حكم المحدث : [صحيح]/التخريج : أخرجه مسلم (179)

لذلك المؤمنون في الدنيا والبشر لا يملكون القوة على رؤية الله عز وجل في الدنيا، ولكن إذا مَنّ الله عز وجل عليهم، وأدخلهم الجنة؛ أعطاهم الله عز وجل القدرة على النظر إلى وجهه -نسأل الله عز وجل أن نكون منهم-.

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ}[الأعراف:143] في هذه الأيام وموسى عليه السلام يصّبر نفسه بكثرة الّذكر لله عز وجل {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ} ماذا يارب؟ {انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}[الأعراف:143] أريدك أن تعيش معي هذه اللحظات:

في هذه اللحظات يقف موسى عليه السلام وينظر إلى الجبل العظيم، وهو أقوى المخلوقات الموجودة أمامه، والله عز وجل يقول: { فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي}

يا ترى هل سيصبر الجبل حينما يتجّلى الله؛ حتى أرى الله عز وجل؟! ليت هذا الجبل يصبر حتى أستطيع رؤية الله عز وجل.

انظر إلى هذه اللحظات كيف مَرّت على موسى عليه السلام وهو ينظر إلى الجبل، وينتظر اللحظة التي يتجّلى الله فيها للجبل.

{ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا }[الأعراف:143]؛ لما كشف الله عز وجل عن حجابه النور -قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يُروى عنه: (وضع الإبهام على المفصل الأعلى من الإصبع الصغير من الخنصر) [8] أي: بقدر هذا المقدار كشف الله عن حجابه من النور! بقدر هذا المقدار فحسب كُشف عن الحجاب- فُدَكّ الجبل وتغشّى وسقط وسَاخَ في الأرض، ولم يعد له مكان! كما قال العلماء.

نظر موسى إلى هذا المشهد المهيب { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام:91]؛ فأغشي عليه، ولم يستطع أن يتحمّل هذا المشهد العظيم من قدرة الله عز وجل.

فما بالنا أحبتي في الله نتعامل مع الله عز وجل هذه المعاملة؟!

---

[8] أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ: قرَأَ هذِهِ الآيةَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا قالَ حمَّادٌ: هَكذا، وأمسَكَ سليمانُ بطرفِ إبْهامِهِ على أنملةِ إصبعِهِ اليمنى قالَ: فساخَ الجبلُ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا

الراوي : أنس بن مالك/المحدث : الألباني /المصدر : صحيح الترمذي/الصفحة أو الرقم: 3074/خلاصة حكم المحدث : صحيح

ما بالنا لا نشتاق إلى رؤية وجه الله؟! ما بالنا ونحن نقول: "سبحان الله" لا نتذكّر هذه المعاني؟!، وعندما نقول: "الله أكبر" أي: أكبر من كل شيء، ومن كل مخلوق هو خلقه سبحانه وتعالى.

{فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا }[الأعراف:143] الله أكبر! تخيّل هذا المشهد: موسى عليه السلام في ذلك المكان مغشيٌّ عليه، والجبل يُدكّ!

كان موسى عليه السلام ينتظر، ويتمنى أن يتماسك الجبل، ولكن: اصبر يا موسى، حتمًا سيأتي يوم ترى فيه ربَّك..، اصبر يا موسى عليه السلام، سيأتي يوم لك وللمؤمنين يرون فيه ربَّهم، نسأل الله عز وجل أن يمنَّ علينا بلذّة النظر إلى وجهه الكريم.

أحبَّتي في الله؛ هذه الأيام التي نعيشها، حدث فيها ما سمعتم، أيْ والله حدث هذا، هذا ليس من أساطير الأولين، بل هو كلام رب العالمين، والله لقد حدث هذا، والله قد جاء موسى إلى هذا الميقات، وسمع كلام الله، فاشتاق، فطلب الرؤية، فُدكَّ الجبل، فسقط مغشيًّا عليه.

أحبَّتي في الله؛ هذه الأيام هي أيام الشوق إلى رؤية وجه الله، فأيام رمضان هي أيام الاجتهاد في الطاعة، وأيام الاستماع إلى الكلام، ودائمًا بعد سماع الكلام يأتي الشوق إلى الرؤية.

استمع موسى إلى كلام الله، فجاء الشوق إلى رؤية وجه الله، ونحن في رمضان استمعنا إلى كلام الله، وقرأنا كلام الله في ثلاثين يومًا وليلة، والآن جاء الوقت لكي نعيش معنى "كأنك تراه"، ففي هذه الأيام لا بدَّ أن يكون شعارنا فيها: "كأنك تراه".

تذكّر الله عز وجل وأنت تتدبَّر في أفعاله وقدرته، في خلقه ورزقه، وفي رحمته وحِلمه، وفي أسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى، تذكّر الله عز وجل وقلبك مليء بالشوق إلى رؤية هذا الإله العظيم.. هذا الإله الجميل.. هذا الإله الكريم..

فالحمد لله رب العالمين؛ الحمد لله أنَّ لنا ربًّا، والحمد لله أن الله عز وجل ضرب للمؤمنين موعدًا للقائه سبحانه وتعالى، هذه الآية التي تصبّر المشتاقين: { مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ } من عمل الأعمال الصالحة يطلب بها رؤية وجه الله عز وجل{ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ } [العنكبوت:5] اطمئنوا؛ أيها العاملون لدين الله.. أيها الباذلون للمعروف؛ اطمئنوا، سيأتي يوم ترون فيه ربَّكم.

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ} [الأعراف:143].

هذه هي المعاني التي نريد أن نخرج بها من العشر:

هذه الجمل الثلاث التي قالها موسى بعد هذه التجربة الرائعة –بعد أن أفاق–؛ نريد أن نخرج بها من هذا الميقات، كما خرج موسى بها من هذا الميقات –عليه وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم–.

خرج موسى عليه السلام بعد الميقات بثلاث كلمات:

{ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } [الأعراف:143]؛ فخرج بثلاث ثمرات من هذه التجربة الرائعة:

الثمرة الأولى: { سُبْحَانَكَ} ؛ تنزيه الله عز وجل.

أن يمتلئ القلب تعظيمًا لله سبحانه وتعالى، وأن نحاول قدر المستطاع أن نتأمل في قدرة الله المطلقة سبحانه وتعالى، ولا نعظّم شيئًا في هذه الدنيا، ونعظّم الله دائمًا فحسب، ويكون شعارنا في الحياة: "الله أكبر"؛ أكبر من كل شيء؛ فهذا ما نريد أن نخرج به من العشر: تعظيم الله عز وجل في قلوبنا.

فالإنسان يخاف من أشياء، ومخلوقات بسيطة حقيرة، ولكن؛ كيف يخاف المؤمن من هذه المخلوقات؟! كما قال إبراهيم عليه السلام:{وَكَيْفَ أَخَافُ} [الأنعام:81]؛ أي: كيف أخاف وربي الله؟! كيف أخاف ولي ربٍّ عظيم قدرته مطلقة؟!

فكذلك نريد أن نخرج من هذه العشر بالثمرة الأولى:

{ سُبْحَانَكَ }: أن ننزّه الله عز وجل عن كل نقص، ونبتعد عن سوء الظن بالله، فبعضنا إذا أصابه ضيق في الرزق، أو ضيق في أي شيء؛ يسرع بسوء الظن بالله عز وجل.. سبحانه! سبحانه!

عندما كان يونس عليه السلام في بطن الحوت قال :{ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ }؛ أنزّهك عن كل نقص، ولا أسيء الظن بك أبدًا، أنا أستحق، { سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ }[الأنبياء:87].

فنحن نريد أن نخرج بالثمرة الأولى: تعظيم الله عز وجل؛ { سُبْحَانَكَ}.

الثمرة الثانية: كلما ازداد قدر الله عز وجل في قلبك، احتقرت أعمالك، وشعرت بالتقصير بين يدي الله؛ لذلك بعدما قال:{ سُبْحَانَكَ} ، قال: { تُبتُ إِلَيكَ }؛ أعترف بالنقص، أعترف بنقصي، ونقص أعمالي بين يديك.

(اللهم أنت ربي وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ) [9] لما اعترف بنعم الله عليه قال: (وأبوء بذنبي)؛ أنا مقصّر، فكلَّما عظّمت الله عز وجل في قلبك، شعرت بالتقصير بين يدي الله، وأنَّ ما تبذله من طاعات، وإنفاق وصيام، وجهاد ودعوة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر.. كل هذا لا يُعد شيئًا في قَدْر الله عز وجل سبحانه وتعالى { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ }[الأنعام:91]؛ فلا بُدَّ أن تشعر في هذه الأيام بالتقصير.

نحن الآن في آخر السنة، وآخر السنة هو موعد ميقات المشتاقين، وهو يأتي دائمًا بعد سنة من البذل، كما حدث مع سيدنا موسى بعدما بذل طويلًا، وبذل عظيمًا مع بني إسرائيل، وبذل جهدًا مضنيًا متعبًا مع فرعون، وبعد طول هذا البذل؛ جاء الميقات.. جاء موعد الاستجمام الإيماني.

وكذلك نحن في آخر العام؛ بعد أن بذل الصالحون في الطاعات، وبعد أن بذل المصلحون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. بعد طول البذل طوال العام نأتي إلى هذا الميقات لِذكر الله عز وجل، والتفرُّغ لمناجاة الله عز وجل، وحساب النفس، ولتعظيم الله، والشعور بالتقصير كما تفعل بعد الصلاة؛ حيث تستغفر الله عز وجل عن التقصير، وتنزّه الله عز وجل.

فالثمرة الثانية هي: {تُبتُ إِلَيكَ }؛ الشعور بالتقصير.

الثمرة الثالثة: إذا اجتمعت الأولى والثانية؛ أي: إذا اجتمع في قلب العبد شدة تعظيم الله عز وجل، مع الإحساس بالتقصير؛ تنتج الثالثة؛ وهي: المسارعة في الخيرات { وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ }.

[9] عن بريدة بن الحصيب الأسلمي:] مَن قال حينَ يُصبِحُ أو حينَ يُمسي: اللهم أنت ربي لا إلهَ إلا أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعْتُ، أعوذُ بك مِن شرِّ ما صنعْتُ، أبوءُ بنعمتِك وأبوءُ بذنبي، فاغفرْ لي؛ إنه لا يَغفِرُ الذنوبَ إلا أنت. فماتَ مِن يومِه أو مِن ليلتِه دخَلَ الجنةَ.

الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح أبي داود ٥٠٧٠ • صحيح • أخرجه أبو داود (٥٠٧٠) واللفظ له، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤١٧)، وابن ماجه (٣٨٧٢)، وأحمد (٢٣٠١٣)

{ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف:143]؛ أنا أريد أن أكون أول من يدخل المسجد، أريد أن أكون أول المنفقين.. أريد أن أكون من أول القائمين لليل، أريد أن أكون من أول المجاهدين.. أريد أن أكون من أوائل الباذلين أعمارهم لنصرة دين الله عز وجل، أريد أن أكون من أول الحافظين لكتاب الله عز وجل...

هكذا يخرج المؤمن في نهاية العام بمشاعر بذل وتضحية ينطلق بها إلى بذل في العام القادم؛ فيخرج بـ: {سبحانك تبت إليك}، ثم أخيرًا المسارعة في الخيرات: {وأنا أول المؤمنين}.

هكذا أحبتي في الله؛ لا بد أن نحافظ على الذكر هذه الأيام، وأن نكثر فيها من التسبيح والتهليل والتكبير، قال النبي صلى الله عليه وسلم –وهو يوصي رجلًا طلب منه الوصية–: (وعليكَ بِذِكْرِ اللهِ تعالى، وتِلاوةُ القرآنِ، فإنَّه روحُكَ في السَّماءِ، وذِكْرُكَ في الأَرضِ) [10].

روحك في السماء؛ أي: أنه سبب لحياتك في السماء، وسبب لراحتك في السماء، حينما تصعد روحك إلى السماء، فذكر الله عز وجل يجعل هذه الروح في قمة الراحة أثناء الصعود؛ لماذا؟ ما علاقة الذكر؟

إذا ذكر العبدُ الله عز وجل، ذكره الله عز وجل في الملأ الأعلى، فعلى كثرة الذكر تعرفك الملائكة في الملأ الأعلى، فإذا صعدت روحك إلى الله عز وجل، فإن كل الملائكة تقول: أخيرًا صعد إلينا فلان بن فلان، لطالما ذكره الله عز وجل؛ أكرموه، إن الله يحبه؛ فتحتفي به الملائكة.

(وعليكَ بِذِكْرِ اللهِ تعالى، وتِلاوةُ القرآنِ، فإنَّه روحُكَ في السَّماءِ، وذِكْرُكَ في الأَرضِ)؛ أي: وشرفك في الأرض (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ.) [11].

"وذِكْرُكَ في الأرض": أكثر من ذكر الله عز وجل في الأرض، وأنت تتأمل في مخلوقات الله عز وجل، وابعد قلبك عن أيّ مشاغل في هذه الأيام، واجعل شعارك في هذه الأيام: "كأنك تراه"، وحاول أن تصل إلى مرتبة الإحسان التي حثّنا عليها النبي صلى الله عليه وسلم بعد الإسلام والإيمان.

---

[10] - عن أبي سعيد الخدري:] أُوصِيكَ بتقوى اللهِ تعالى، فإنَّهُ رأسُ كلِّ شيءٍ، وعليكَ بالجهادِ، فإنَّهُ رهبانيَّةُ الإسلامِ، وعليكَ بذِكْرِ اللهِ تعالى، وتِلاوةُ القرآنِ، فإنَّهُ روحُكَ في السَّماءِ، وذِكْرُكَ في الأَرضِ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٢٥٤٣ • حسن

[11] إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ.
الراوي : أبو هريرة / المحدث : البخاري/المصدر : صحيح البخاري/الصفحة أو الرقم: 3209/خلاصة حكم المحدث : [صحيح]/التخريج : أخرجه البخاري (6040)، ومسلم (2637)

أحبتي في الله، آخر يوم من هذه الأيام هو يوم العيد "يوم النحر"، هو اليوم الذي يفرح فيه المؤمنون بفضل الله عز وجل عليهم: { قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا }[يونس:58] يفرح الطائعون بما بذلوا من طاعات، في ذلك اليوم؛ يوم النحر، ويوم التضحية والبذل.

هكذا أحبتي في الله؛ التضحية لله يكون لها طعم آخر بعد ذِكر الله، فعندما تذكر ربنا كثيرًا، وتسّبح ربنا، وتتعَّرف إلى الله؛ يسُهل عليك البذل؛ لذلك فإن العجيب أن الأضحية لا تكون في أول يوم، ولا في ثاني يوم، وإنما في آخر يوم، بعد أن تُدمن ذكر الله عز وجل في هذه الأيام، فتسهل عليك التضحية لنصرة دين الله عز وجل.

يتعجَّب كثير من الناس: كيف يحافظ فلان على قيام الليل؟! كيف يجاهد فلان في سبيل الله؟! ألا يخاف من فتنة السيف على رقبته؟! كيف يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟! هذا فِعل المحّبين.

أحبتي في الله إذًا؛ المؤمن إذا ذكر الله كثيرًا، استطاع أن يثبت في الفتن، واستطاع أن يضحّي، قال الله عز وجل في وقت الأزمة في سورة الأحزاب: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}[الأحزاب:21] **فالذي يذكر الله عز وجل كثيرًا، يستطيع أن يقف في وجه الأحزاب، ويستطيع أن يقف في وجه الفتن بفضل من الله عز وجل، فذكر الله عز وجل قوة للبدن وقوة للقلب وقوة للروح.**

أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات..

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا.. اللهم اجعلنا لك ذكّارين..

اللهم لا تُخرجنا من هذه الأيام إلا وقد عفوت عنا، ورضيت عنا، وتقبلتنا في الصالحين يا رب العالمين..

اللهم إنا نسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلّة، اللهم اجعلنا هداة مهتدين..

اللهم بّلغنا يوم عرفة، اللهم أعنا على صيامه على الوجه الذي ترضى به عنا يا رب العالمين..

اللهم وتابع لنا بين الحج والعمرة، اللهم وتابع لنا بين الحج والعمرة، ولا تحرمنا الأجر يا رب العالمين بفضلكوكرمك وجودك يا رب العالمين..

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.